مجلة كليّة

# الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

# الأسس التربوية للثواب والعقاب في تربية الطفل المسلم

د. عبد السلام الجقندي
كلية الدعوة الإسلامية

## مقدمة:

لقد أصبحت رعاية الطفولة في عصرنا موضوع اهتمام علماء النفس والاجتماع والتربية والاقتصاد. ورغم أن اهتمام كل فريق ينصب في الغالب على جوانب محددة من شخصية الطفل أكثر من غيرها فإنها في مجملها تهتم بإعداد الشخصية السوية وفقاً لمواصفات ومعايير معينة من قبل المجتمع. ويؤكد علماء التربية وعلم النفس في الوقت الحاضر أهمية دور الأسرة في تربية الأطفال منذ الولادة وحتى النضج والبلوغ، وتستأثر وحدها بالتربية في المرحلة الأولى من الطفولة، ثم تشاركها المدرسة والمجتمع فيما بعد. ولذلك تحتل الأسرة المرتبة الأولى في التربية، وتتحمل المسؤولية الكبرى في التنشئة الاجتماعية لأطفالها

وفي هذا يقول الزرنوجي في كتابه «تعليم المتعلم» «يُحتاج في التعليم إلى الثلاثة، المتعلم والأستاذ والأب»[1].

والثواب والعقاب من المبادىء التربوية التي أوصت بها التربية الإسلامية وأكدت ضرورتها وأثرها في تربية الأطفال. ذلك أن النفس البشرية بطبيعتها وفطرتها مجبولة على المديح والثناء والمكافأة، وعلى الخوف والرهبة والحساب[2]، ومن هذا المنطلق كان استخدام المربين المسلمين للثواب والعقاب من الأصول التربوية في تعليم وتأديب الأطفال. وسأناقش النقطتين الآتيتين في هذا البحث:

1 ـ من أهم أسس الثواب والعقاب في التربية الإسلامية.

2 ـ آراء بعض فلاسفة التربية الإسلامية في موضوع الثواب والعقاب.

## من أسس الثواب والعقاب في التربية الإسلامية

إن الثواب والعقاب من المبادىء التربوية التي يرى علماء التربية وعلم النفس ضرورتها وأثرها في تربية الأطفال. فإثابة الإنسان على سلوكه الحسن، وعقابه على سلوكه السيّئ مبدأ إسلامي، لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 60] وقوله جل وعلا: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى، الآية: 40] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات، الآيات: 37 ـ 41].

وينصح الآباء بعدم الإسراف في استخدام أساليب الثواب ومكافأة الأبناء على كل ما يقومون به، لأن الإسراف في الثواب له بعض السلبيات منها:

أ ـ يخلق من الأطفال أفراداً ماديين يرتبط لديهم الدافع إلى العمل بالثواب.

---

(1) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة 1973م ـ ص211.

(2) عارف مفضي البرجس التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، الطبعة الثامنة، دار الأندلس بيروت لبنان 1983 ص98.

ب ـ الإسراف في استخدام الثواب يفقد أثره كحافز بسبب أنه أصبح شيئاً مألوفاً ومتكرراً عند الأطفال.

وبذلك ينبغي على الآباء الاعتدال في استخدام أساليب الثواب المادية والمعنوية. ويقتضي هذا الأمر منّا حين نود غرس العادات الطيبة أن نحاول مكافأة الطفل على حسن قيامه بالعمل بما يبعث في نفسه جانباً من الارتياح الوجداني[3]. وقد يكون للعقاب أثره في تعديل السلوك بشرط أن يكون عادلاً ومعتدلاً، فالعقوبة في الإسلام وسيلة وليست غاية «وقد أثبتت الكثير من التجارب أن العقاب والثواب لا يتساويان في أثرهما: فأثر الثواب عادة أقوى من أثر العقاب، كما أن العقاب لا يمنع الكائن الحي من تكرار الخطأ الذي عوقب عليه، بينما يؤدي الثواب إلى تكرار ما يثاب عليه»[4]. ومن ناحية أخرى فقد أشارت نتائج التجارب حول أثر العقاب، بأن العقاب قد يؤدي إلى تغير السلوك. ولكن يصعب التنبؤ بنتائجه بخلاف الثواب، وقد يؤدي العقاب الشديد إلى تأكيد السلوك الشاذ لدى الأبناء[5]. ويرى ابن سينا أنه من الواجب البدء بتربية الطفل وتعويده الخصال الحميدة منذ بدايته الأولى من العمر، وذلك قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة، لأنه من الصعب التخلص منها إذا اعتادها وتمكنت من نفسه، وإذا وجد المربي أنه من الضروري استخدام أسلوب العقاب لتقويم سلوك الطفل، وجب عليه تطبيق العقوبة باعتدال وبأسلوب تربوي، فلا يؤخذ الطفل بالعنف والقسوة، بل يستخدم أسلوب اللطف واللين الممزوج بالترغيب والترهيب، والمديح والتشجيع، ولا يلجأ المربى إلى العقاب البدني إلا بعد فشل أساليب التهديد والوعيد، وذلك حتى نضمن أن يؤدي العقاب إلى إحداث الأثر الذي نريده في نفس الطفل[6]. وعليه فإن الغرض من العقوبة في

(3) دوجلاس توم؛ مشكلات الأطفال اليومية، ترجمة إسحاق رمزي، الطبعة الخامسة دار المعارف بمصر. د.ت ص30.

(4) سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف بمصر القاهرة 1970 ص630.

(5) نفس المرجع السابق ص635.

(6) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها الطبعة الثانية القاهرة 1969 ص233.

التربية الإسلامية هو الإرشاد والإصلاح وليس الزجر والانتقام[7]. وتوجه التربية الإسلامية الآباء والأمهات والمربين إلى التعامل مع الأطفال بالمحبة والرفق والبعد عن العنف بكل صوره وأشكاله، لأن استخدام العنف مع الطفل يزيد من مقاومته وعناده، ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التي قد تؤدي إلى تقويض بنيانه النفسي بكامله. ولذلك يهتم الإسلام بحسن معاملة الطفل في البيت، ويحث أن تكون هذه المعاملة قائمة على سياسة واعية ورشيدة تقدر طبيعة المرحلة التي يمر بها، وما يتناسب معها من أسلوب في المعاملة التي تناسب قدرة الطفل[8]. كما يجب أن تكون علاقة الوالدين بأطفالهم مبنية على الوضوح والصراحة، فالكلمة الواضحة والصريحة أساس التفاهم والعلاقات داخل الأسرة مع مراعاة أن تكون صراحة الوالدين مع طفلهما متناسبة مع مستوى فهمه وتفكيره حتى يتعود على قول الحقيقة بعد ذلك دون خوف ولا كذب، وبذلك يعبر الطفل عن آرائه ومشاعره. وأفكاره بالعطف والاهتمام ويستعيدثقته بنفسه، ويصبح محباً لنفسه وللآخرين[9]. وترى الدكتورة فتحية سليمان، أن استعمال الثواب والعقاب لغرض التهذيب طريقة سليمة إلى حد كبير «فإن الإكثار من الزجر والتأنيب وتكرار اللوم والعقاب، كل هذا قد يأتي بعكس المرغوب فيه، كما أن المديح والتشجيع كثيراً ما يكونان سبباً في الإصلاح، أما من ناحية تخويف الصبي بأبيه ـ فإنه باعتباره مركزاً للسلطة في العائلة ـ ينبغي أن يكون شخصاً يحترم ويحسب حسابه، لا أن يكون رمزاً للرهبة والخوف»[10] ومن خلال ما عرضه الغزالي في موضوع الثواب والعقاب نرى أنه يقر العقاب البدني

---

(7) إبراهيم سعادة، الإسلام وتربية الإنسان، الطبعة الأولى، مكتبة الأردن الزرقاء، 1985 ص46 ـ 47.

(8) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، جمعية عمال المطابع الأردنية ـ عمان الأردن 1989 ص119 : 120.

(9) توماورج الخوري، سيكولوجية الأسرة، الطبعة الأولى، دارالجيل بيروت، 1988 ص78 ـ 79.

(10) فتحية سليمان، المذهب التربوي عند الغزالي ط2، مكتبة النهضة القاهرة 1964م ص60.

«الضرب» من الأب لابنه ومن المعلم لتلميذه[11]. ومع ذلك فإن التربية الحديثة لا تقر العقاب البدني أسلوباً تربوياً ناجحاً، بل تدعو إلى علاج الحالات بما يناسبها من الوسائل العلاجية الأخرى. ومهما كانت الظروف يجب ألا يلجأ المربي إلى العقاب البدني إلا في الحالات التي يتعذر فيها حمل الطفل على اتباع الفضيلة والإقلاع عن الرذيلة بطريق النصح والإرشاد والتي يظهر فيها إصرار الطفل وعناده[12]. وفي مجال تأديب الأطفال واستعمال العقاب معهم في حالة قيامهم بسلوك خاطىء أو عصيانهم لأوامر والديهم، فإن على الوالدين والمربين ضرورة اتباع شروط تطبيق العقوبة على الأطفال حتى يحقق الهدف منها في تعديل السلوك وبناء الشخصية السوية للطفل. فالعقاب عند علماء النفس هو «إنزال الألم أو العذاب بكائن من الكائنات بسبب خرقه للنظام، أو اتباعه لمسلك لا يرضى عنه من ينزل به العقاب»[13]. ومبدأ العقاب كما يقرره الإسلام ينطبق على جميع الناس، ويدخل من ضمنهم الأطفال الذين إذا خالفوا الأوامر أو صنعوا الشر، يلجأ إلى تأديبهم حسب طاقاتهم، حتى يُعوَّدوا من الصغر على احترام القانون، والانضباط بأخلاق المجتمع[14]. وهذه المهمة تتحقق بتعويد الأطفال الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر، وعدم إهمال غرس هذه الفضائل مبكراً في السنوات الأولى من حياة الطفل، ولذلك ينبغي علينا كآباء ومربين أن نؤدب الصبيان وهم صغار، فالطفل يسير في بدء حياته بمنطق اللذة أي إنه يميل إلى تكرار السلوك الذي يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم. ويتكون الضمير عند الطفل نتيجة للأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين في بدء حياته[15].

---

(11) أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين، دار مطابع الشعب القاهرة، الجزء 8 ـ 1969 ص1471.

(12) صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، الجزء الثاني، دار المعارف بمصر القاهرة 1963م ص297.

(13) كمال الدسوقي، علم النفس العقابي أصوله وتطبيقاته، القاهرة، دار المعارف 1961 ص19.

(14) وسيلة بلعيد بن حمدة، الإجارة على تعليم القرآن ـ من كتاب النوازل لأبي القاسم البرزلي ـ السلسلة التراثية رقم 16 منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الجماهيرية العظمى ص 30ـ36.

(15) عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي للطباعة والنشر ـ بيروت 1974 ص418 ـ 419.

## آراء بعض فلاسفة التربية الإسلامية في موضوع الثواب والعقاب

أجمع فلاسفة التربية الإسلامية على أن الوقاية خير من العلاج، ونصحوا باستخدام جميع الوسائل لتأديب الأطفال وتهذيبهم منذ نعومة أظفارهم حتى يعتادوا أحسن السلوك وهم كبار فلا تكون هناك حاجة لإنزال العقوبة بهم، ولهذا حرص المربون المسلمون على معرفة طبائع الأطفال وأمزجتهم ومراحل نموهم، قبل الإقدام على معاقبتهم، وطالبوا المربين بتشجيع الأطفال على تصحيح أخطائهم والتغاضي على هفواتهم بعد إصلاحها[16].

والطفل بطبيعته كثير الحركة وحب الاستطلاع والتجريب، واللعب، ومن هنا تكثر أخطاء الأطفال، مما يجعل الكبار يعاقبونهم على تصرفاتهم وأفعالهم باعتبارها أنماطاً سلوكية غير سوية وغير مرضية للكبار، وقد تدرجت التربية الإسلامية في أسلوب عقاب الأطفال كما يلي[17]:

1 ـ تربية الطفل عن طريق الحث والترغيب والموعظة.

2 ـ يظهر الآباء الغضب أمام الأطفال حتى يشعروا بما ارتكبوه من أخطاء.

3 ـ يتم تنبيه الطفل وإنذاره على الأخطاء التي يرتكبها.

4 ـ عندما يتكرر الخطأ من الطفل للمرة الثانية يلفت نظره إلى ذلك.

5 ـ بعد استنفاذ الإجراءات التأديبية السابقة يسمح بعقاب الصبيان بالضرب عند الضرورة بشرط اتباع الأساليب التربوية.

لقد حرص النبي ﷺ على تدريب الأطفال منذ صغرهم على شعائر الإسلام، وعلى التمسك بفروضه وآدابه، ولما كانت الصلاة عماد الدين فقد حث الآباء على أن يأمروا أبناءهم بالصلاة منذ صغرهم؛ حتى إذا كبروا وأصبحت الصلاة مفروضة عليهم وجدوا أنفسهم يؤدونها بسهولة ويسر بتأثير

---

(16) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق ص155.

(17) صالح ذياب الهندي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، الطبعة الأولى دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن 1996 ص124.

العادة والألفة. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»[18]. إن مرحلة الطفولة الأولى تعتبر من أفضل المراحل لتكوين العادات الصالحة أو السيئة بتأثير عوامل التربية، ويؤكد المهتمون بالتربية الإسلامية على بعض الملاحظات المتعلقة بالثواب والعقاب، ومنها أنه لا يبدأ التعليم بالعصا ولا تبدأ التربية بالعقوبة، وإنما هناك فرصة يعمل فيها الحب وتعمل فيها القدوة وتعمل فيها النصحية وتعمل فيها الكلمة الرقيقة الحازمة في آن واحد، فإذا لم يفلح هذا كله فلا بأس حينئذ في شيء من الشدة تقوّم الكيان، ولكنها ليست الشدة التي تفسد الكيان[19]. ويستفاد من سيرة الرسول الله ﷺ أنه ربى بناته وأبناء بناته فلم يضرب أحداً منهم قط[20] وأرى أن هذا المبدأ تؤكده الدراسات التربوية في الوقت الحاضر. وكان النبي ﷺ شديد العطف على الأطفال يقبلهم ويمازحهم ويلاعبهم، ويدعو الآباء والأقارب إلى معاملة أولادهم مثل هذه المعاملة. فقد روى الإمام البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم؟فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن ينزع الله من قلبك الرحمة»[21] ويقول الدكتور أحمد عزت راجح: «إن أثر الجزاء ـ ثواباً كان أم عقاباً ـ يبلغ أقصاه حين يعقب السلوك مباشرة، ولكن أثره يضعف كلما طالت الفترة بينه وبين السلوك. فلكي يكون الجزاء مثمراً يجب أن يكون عاجلاً مباشراً، أو على الأقل لا يكون متأخراً إلى حد كبير خاصة مع الأطفال؛ فخير الجزاء عاجله. . كما اتضح أن الأطفال المنبسطين يضاعفون جهودهم وإنتاجهم عقب اللوم، في حين أن المنطوين يضطرب إنتاجهم عقب اللوم»[22] والمربي

---

(18) مسند أحمد بن حنبل 4/ 172.

(19) حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام، مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ الرياض 1982، ص42.

(20) نفس المرجع السابق ص42.

(21) الأدب المفرد رقم 90.

(22) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، الطبعة التاسعة: المكتب المصري للطباعة والنشر 1973، ص269.

بحسن حكمته يضع الأمر في نصابه، بحيث يراعي شروط استخدام العقاب والثواب، فقد أكدت التجارب «ضرورة مراعاة الفروق بين الأفراد في توقيع العقاب. فالعقاب الذي يجدي مع المرأة قد لا يجدي مع الرجل، والذي يجدي مع الطفل قد لا يجدي مع الكبير»[23].

ومن أجل حماية الطفل ورعايته فقد تضمنت التربية الإسلامية شروطاً للعقوبة البدنية نذكر منها[24]:

1 ـ عدم استعمال هذه العقوبة قبل أن يبلغ الطفل سن العاشرة.

2 ـ ألا يزيد الضرب على ثلاث ضربات خفيفة.

3 ـ أن يمنح الطفل الفرصة في التوبة والرجوع عما فعل، ويقوم بإصلاح أخطائه وذلك دون الالتجاء إلى ضربه والتشهير به.

## الثواب والعقاب في نظر القابسي:

يؤمن القابسي بالثواب والعقاب، ويرى أن المحسن يجب أن ينال جزاء إحسانه، والمسيء يجب أن ينال جزاء إساءته: وينصح القابسي بسياسة التدرج في العقوبة، ووضع مواصفات معينة للعقاب البدني. وفيما يلي تلخيص لأهم ضوابط العقاب البدني التي ذكرها القابسي:

1 ـ لا يجوز للمعلم أن يوقع العقاب على التليمذ وهو في حالة انفعالية.

2 ـ يراعي في ضرب الطفل أن يكون في حدود ثلاث ضربات، وإذا استوجب الذنب أكثر من ذلك يلزم أخذ الإذن من ولي أمر الطفل، وفي هذا الخصوص يقول القابسي «فإن ارتكب الصبي جرماً من أذى ولعب وهروب من الكتاب فينبغي للمعلم أن يستشير أباه، أو وصيه إن كان يتيماً ويعلمه إن كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث، فتكون الزيادة على ما يوجب التقصير في

(23) نفس المرجع السابق ص270.

(24) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق ص155.

التعليم، على إذن من القائم بأمر هذا الصبي ثم يزاد على الثلاث ما بينه وبين العشر إذا كان الصبي يطيق ذلك»[25].

3 ـ أن يدرك المعلم أن هدف العقاب ليس هو الانتقام من التلميذ، بل الهدف هو تقويم سلوك الطفل، وتغيير سلوكه غير المرغوب إلى سلوك مرغوب فيه.

4 ـ الاعتدال في توقيع العقوبة على الطفل وتجنب الإيذاء الجسمي، وذلك بأن يتحاشى المربي ضرب الطفل على الوجه أو الرأس، حتى لا يحدث الخطأ في مكان الضرب عاهة عامة؛ وينصح أن يكون الضرب على الرجلين.

5 ـ ألا يكون العقاب في شكل الحرمان من الطعام أو الراحة أو أي حاجة من حاجات الطفل لأن ذلك يؤثر في جسمه ونفسيته.

6 ـ أن يقوم المعلمون أنفسهم بتوقيع العقاب على الطفل، فلا ينبغي للمعلم أن يكلف أحد الصبيان الآخرين بتوقيع عقوبة الضرب، وذلك حتى لا يحدث نوعاً من العداوة بين الأطفال أنفسهم. ويركز القابسي على المعلم ويعتبره بمنزلة الوالد بالنسبة للصبي، وعليه أن يرشد الأطفال إلى ما فيه الخير والصلاح بشتى أنواع الأساليب، وألا يلجأ إلى الضرب إلا في الحالات المستعصية، فالأطفال أمانة في عنق المربي فلا يحق له أن يميت قلوبهم، وينمي فيهم روح الكبت والحرمان، فيخرجون إلى الحياة ناقمين، فالغرض من التربية هو البناء وليس الهدم، والطريقة الصحيحة في تربية الأطفال هي سياستهم بالرفق بعيداً عن الشدة والعسف[26].

## نظرة ابن خلدون إلى العقاب والثواب

يرى ابن خلدون أن الشدة تضر بالمتعلمين وخاصة الأطفال، لأنها تعيق

---

(25) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص289. كما نقله عبد الله الأمين النعمي في كتابه، المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون 1980، ص167.

(26) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، الطبعة الأولى عمان الأردن 1989 ص144.

النشاط، وتحمل على الكذب والخبث والمكر وهجر الفضائل حيث قال: «من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به إلى القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة. لذلك صارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له»[27]. وقد اتفق رأي ابن خلدون مع ما تنادي به التربية الحديثة من استعمال اللين والشفقة في العقوبة، فالقسوة مع الطفل تعوده الجبن وتبعده عن الحماس والشجاعة.

وقد لخص ابن خلدون آراء فلاسفة التربية الإسلامية في العقوبة حينما اقتبس نصيحة هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين، فذكر أن الرشيد طلب إلى الأحمر مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمر دون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، وألا يمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، ويقومه ما استطاع بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة[28]. وبذلك يكون لزاماً علينا أن نعود الطفل لأن يكون صريحاً في تصرفاته، فلا يخفي شيئاً يرى أنه قبيح، فإذا ما عودت الطفل على أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله فإنه يعتاد عندئذ على الخلق القويم ولا ينهج إلا السلوك الصحيح في تصرفاته.

## الثواب والعقاب في نظر الغزالي:

أشار الغزالي إلى مبادىء تربوية هامة نصح بها المربين، فقال: إنه يجب على المربي معرفة نوع السلوك الذي يقوم به الطفل ويقارن ذلك بعمره، لأن المعلم في نظر الغزالي مثل الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم وأمات قلوبهم[29]، ويمكن لنا أن نستنتج مبادىء تربوية تتفق مع ما دعت

(27) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق ص158.

(28) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون. الجزء الرابع، تحقيق على عبد الواحد وافي القاهرة لجنة البيان العربي، 1962م ص1244.

(29) محمد عطيه الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق ص157.

إليه التربية الحديثة وهو أن يعامل كل طفل المعاملة التي تتناسب مع مستوى عمره ونضجه، ودراسة الدوافع التي دعته إلى ارتكاب هذا السلوك الخاطىء، وهذا تأكيد على مبدأ الفروق الفردية في العقوبة، ووفقاً لذلك يقوم المربي الجيد بفحص السلوك وملاحظته وتشخصيه ثم بعد ذلك وصف العلاج المناسب له.

إن المسلمين الأوائل لم يعتمدوا على المعلم فقط في تأديب الصبي، بل كان يتعاون والده على تنشئته وتربيته منذ نعومة أظفاره، فكرامة النفس من أهم الأمور التي ينمونها في الطفل، ويعاملونه معاملة رجل له كرامته وكلمته وحرية رأيه فيما يبديه.

ويقول الإمام الغزالي: «ولا تكثر عليه القول بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، ولذا حذروا المعلم من العنف والشدة واللوم»[30].

وقد قال الإمام الغزالي «من دقائق صناعة التعليم، أن يزجر المعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار»[31] ومما أكده فلاسفة التربية الإسلامية: التعليم بالمقال والتأديب بالفعال. قال الإمام الغزالي رحمه الله: فصلاح التلميذ بصلاح معلمه، فإن أعينهم إليه ناظرة، وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنه فهو عندهم الحسن وما استقبحه فهو عندهم القبيح»[32].

فصلاح الصبي يتوقف على صلاح معلمه، فتؤثر أفعاله أكثر من أقواله. وفي هذا يقول الغزالي أيضاً: مثل المعلم المرشد من المسترشدين، مثل النقش من الطين، والظل من العود، فكيف ينقش الطين بمن لا نقش فيه، ومتى استوى الظل والعود أعوج؟[33] ولقد شبه الإمام الغزالي المعلم الذي يربي تلاميذه

---

(30) الغزالي إحياء علوم الدين، الجزء الأول، ص51.

(31) نفس المرجع السابق ص52.

(32) الغزالي، إحياء علوم الدين. الجزء الأول، مرجع سابق ص52.

(33) نفس المرجع السابق ص52.

ويهديهم إلى الأخلاق الفاضلة بالرفق واللين، ويبعدهم عن الشرور كالفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه»[34].

إن الغزالي ينظر إلى العقاب نظرة غيره من المربين المسلمين، فهو يرى التدرج في معاقبة الطفل، فينصح بأن نبدأ بالتلميح ثم بالتعريض ثم تكون آخر وسيلة وهي العقوبة المشددة. وفي هذا يقول الغزالي: «يجب التدرج في تقويم المخطىء، فإذا صدرت منه إساءة أو خطأ أخلاقي، نهى المعلم عن ذلك بحضور المخطىء دون تعريض، أو إهانة له، فإن لم ينته، اجتمع به سراً ونهاه، فإن لم ينته جهر له بالقول، وأغلظ له بما يناسب الموقف، فإن لم ينته لا مانع من طرده»[35].

## نظرة ابن سينا للعقاب والثواب:

يرى ابن سينا أن الثواب أفضل من العقاب في تقويم سلوك الأطفال ويطالب بمعاقبة الأطفال إذا لزم الأمر، وينصح المربي بعدم اللجوء إلى العنف كلما أذنب الطفل مع مراعاة الحيطة والحذر في استخدام العقاب كما يلي[36]:

أ ـ استعمال أسلوب اللطف واللين.

ب ـ مزج الرغبة بالرهبة.

ج ـ إظهار العبوس والغضب في وجه الطفل عند ارتكابه الذنب.

د ـ في حالة عدم جدوى الوسائل السابقة، فعلى المربي أن يلجأ إلى الضرب.

ويضع ابن سينا شروطاً للضرب، بحيث لا تكون للضرب آثار سيئة من الناحية الجسمية، وأن تكون الضربات الأولى موجعة للطفل حتى لا ينظر إلى

---

(34) كما نقله، سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام الموصل مطابع اللجنة الوطنية الجمهورية العراقية، 1982م ص51.

(35) ابن جماعة محمد إبراهيم، ت733هـ ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم آداب المعلمين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية بيروت 1967 ص202.

(36) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، مرجع سابق ص145.

العقاب نظرة استخفاف؛ ومع أننا نتفق مع ابن سينا في نظرته للعقوبة إلا أن أساليب التربية الحديثة تدعونا إلى متابعة الطفل وملاحظته، وتعديل سلوكه وإصلاح البيئة التي يعيش فيها، وأن نعمل على إصلاحه بطريقة أخرى غير أسلوب العقاب البدني، فالعقاب ليس وسيلة التربية المجدية، فقد يؤدي إلى كف الطفل عن السلوك الخاطىء لكنه لا يؤدي إلى حبه للخير المطلوب، فالترغيب أفضل من الترهيب والاعتدال هو الميزان. لأن الثواب يدخل السرور على النفس فتتشجّع وتتقدم، في حين أن العقاب يؤدي إلى الخوف وقلة الثقة بالنفس «ويؤكد ابن سينا أهمية السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل حيث تتشكل في هذه الفترة المعالم الرئيسية لشخصيته، ومن هنا وجب الاهتمام بهذه المرحلة من حياة الطفل[37].

كما أكّد ابن سينا على الفروق الفردية بين الأطفال التي تظهر واضحة في سلوك الطفل وتصرفاته وتفكيره، وتكيفه في المجتمع، وأن كل طفل يعتبر شخصية قائمة بذاتها له ميوله وله اهتماماته، وتركيبه الجسمي وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والأسرية. ويجمع المنهج القرآني بين الترغيب والترهيب؛ ومن الآيات الجامعة بين عنصري الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، الآية: 49 ـ 50] وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 7] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة، الآية: 7 ـ 8].

ونستخلص مما سبق أن أثر العقاب أقل وضوحاً من الثواب، ومع أننا نلاحظ أن العقاب يمنع السلوك غير المقبول بصفة مؤقتة، ويزود الطفل بتغذية راجعة عما قام به من سلوك، ومع ذلك يتفق غالبية علماء النفس والتربية على أن العقاب أمر غير مرغوب فيه في التربية إنسانياً وتعليمياً، وقد أشارت التجارب على أن العقاب قد ثبت السلوك غير المرغوب فيه بدلاً من أن يعمل على حذفه

(37) سليمان أحمد عبيدات، الطفولة في الإسلام، مرجع سابق ص145.

أو تعديله[38]. كما أشارت التجارب إلى أن العقاب بمختلف أنواعه ينتج سلوكاً عصابياً يتمثل في حالة من القلق مصحوبة أحياناً بالفتور أو النشاط المفرط أو الوسواس. وتشير الدراسات أيضاً على «أن الثواب بشكل عام أقوى أثراً في نجاح العملية التعليمية والاكتساب من العقاب، وأن المديح أوقع أثراً في نفسية المتعلم من اللوم والتقريع، ومع ذلك فاستخدام الثواب والعقاب على المستوى الإنساني بشكل فعّال مسألة فردية تتفاوت آثارهما بتفاوت الأفراد»[39].

وبعد هذا العرض للأسس التربوية والنفسية للثواب والعقاب في الفكر التربوي الإسلامي يجب علينا آباءً ومربين، أن ندرك أهداف التربية الإسلامية في التوسط والاعتدال في استعمال الثواب والعقاب، وأثر ذلك في بناء شخصية الطفل عن طريق العمل والخبرة المباشرة وتنمية دوافعه الداخلية دون الالتجاء إلى استعمال العقاب، ويجب أن ندرك أيضاً أن المثيرات الخارجية الإيجابية، كالثواب مثلاً أفضل وأضمن في نتائجها من المثيرات السلبية كالعقاب، ويفضل أن تكون البواعث الإيجابية متعلقة لتحقيق الأغراض أو الأهداف المتصلة بدوافع الشخص المتعلم بدلاً من الاقتصار عليها كمثير للتعلم. وهذا الأسلوب التربوي ينتج لنا أطفالاً أكثر تفتحاً وأوسع مدارك ممن كانت تربيتهم في بيئة لا تشبع حاجاتهم النفسية والاجتماعية وتتسم بالقسوة في التربية. فالطفل يفقد في مثل هذه البيئة كل الأسباب المساعدة على النمو الطبيعي في أبعاده الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية، كأن يجعله عرضة للأمراض النفسية والانحراف السلوكي. وعلى الأسرة أن تسلك في معاملتها للأطفال سبيل التوسط فلا تبالغ في تدليل أطفالها، ولا تتبع أسلوب القسوة والشدة معهم بما يحتويه هذا الأسلوب من إذلال واحتقار لهم، لأن كلاً من التدليل والقسوة الزائدين عن الحد تضر بشخصية الأطفال، والأساس الصحيح في تربية الأطفال من الناحية النفسية والاجتماعية هو الثبات في المعاملة، والحزم الممزوج بالعطف، والتزام جانب الضبط إلى جانب الدفء لأن ذلك من الأمور الهامة في تكوين شخصية الأبناء.

---

(38) راضي الوقف، مقدمة في علم النفس، عمان الأردن 1984م ص290.

(39) نفس المرجع السابق ص291.